عودة إلى الله

انظر المقدمة في الحلقة الرابعة...

دوي قنابل وأزيز رصاص يرتفعان ثم ينخفضان شيئاً فشيئاً.....

خالد: وبعد.. هل هي النهاية يا جدي؟

الشيخ: بل هي البداية يا بني.

خالد: أبعد الذي نزل بنا من الدمار تقول: هي البداية؟!

الشيخ: ومتى كانت لمعارك الحياة بداية ونهاية؟ نحن في معركة يا بني ما دام أننا أحياء.

خالد: ولكننا خسرنا كل شيء.. خسرنا الأرض والسلاح والمال بل والكرامة أيضاً.

الشيخ: من الممكن أن نخسر الأرض والسلاح والمال.. وقد يذرف البعض دموعاً كثيرة. ولكننا لم نخسر الحرب ولن نخسرها أبدا.

وكيف نستعيد النصر وقد فقدنا كثيراً من المواقع وتداعى علينا الأعداء من كل مكان بسلاح هائل رهيب. ونيران ساحقة مدمرة؟

الشيخ: اذكر يا بني أن الذي يقاتل هو الإنسان لا المدفع. وأن الذي يبذل هو الإنسان لا المال. وأن الذي ينتج هو الإنسان لا السلع المصنوعة. كل شيء يمكن أن يعوض. ما دام أن الذي يقاتل ويبذل وينتج موجود محتفظ بإيمانه بالنصر.

خالد: ومهابتنا التي ضاعت في نظر العدو كيف نستردها؟

الشيخ: لعلك تذكرني بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لأصحابه:

صوت: يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومِن قلَّةٍ نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السَّيل، ولينزعنَّ الله مِن صدور عدوِّكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوَهَن. فقال قائل: يا رسول الله، وما الوَهْن؟ قال: حبُّ الدُّنيا، وكراهية الموت.

خالد: إنه سحر من السحر. وكلمات نابعة من عقل حكيم وقلب مؤمن.

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

الشيخ: صدق رسول الله يا بني. لقد ضيعنا مهابتنا. فلم تغن عنا كثرتنا شيئا ولكن هذا شيء والاستسلام البائس شيء آخر.

خالد: ومن أجل ذلك ضاقت بنا الأرض بما رحبت فخرجنا هائمين على وجوهنا أمام سيول النار وجبال الحديد التي أرسلها إلينا الأعداء.

الشيخ: جبال الحديد وسيول النار ليست هي التي هزمتنا يا بني. بل هو الوهن في القلوب الذي تحدث عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه.

خالد: لو رأيت يا جدي ما شهدته بعينيّ هاتين لعرفت ما في سيول النار وجبال الحديد من الروع والخوف.

الشيخ: يا بني الروع والخوف لم يكونا في جبال الحديد وسيول النار بل كانا في الموت نفسه. إن حب الدنيا وكراهية الموت هما اللذان يعطيان العدو مهابته ويمنحانه فرصة النصر.

خالد: وما السبيل إلى الخلاص؟

الشيخ: إنه السبيل الذي خطه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

خالد: حدّثني عنه.

الشيخ: نحن يا بني أمة عظيمة قديمة. لقد اختارنا الله من دون الأمم الأخرى حملةً لرسالته وحراساً لدينه ودعاة لإنقاذ البشرية من ضلالها.

خالد: وأنى لنا ذلك ونحن منهزمون خاسرون مضيعون؟

الشيخ: وكيف تنتظر يا بني أن تنتصر على عدوك وأنت لم تنتصر بعد على ضعفك ولم تثق بقدرة الله على مساندتك؟

خالد: ولماذا لم ينتصر لي حتى اليوم؟

الشيخ: لأن الله سبحانه وتعالى يا بني لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. هذه سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلا.

خالد: كيف أغير ما بنفسي يا جدي؟ فأنا حريصٌ على الانتصار. حريصٌ على تحطيم جبهات العدوان والجريمة. حريص على الثأر لما نزل بي من المهانة. مصمم على استرداد ما فقدته من الأرض والكرامة والمال.

الشيخ: إن حرصك على تنوير قلبك بالإيمان. وعلى الكفاح والجهاد من أجل إعلاء كلمة الله وحمل رسالة الخير إلى العالم يجب أن يكون قبل أي شيء آخر.

خالد: والإنتقام؟ والحقد الذي يحترق به قلبي. ويلتهم أعصابي؟ والصور البشعة التي شهدتها في مواطن الحرب؟ في عدوان المجرمين على الأطفال والنساء والشيوخ؟

الشيخ: الدم يا بني يجر الدم. والحقد يجر الحقد.. ولكن الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله هو الذي يمنع الجريمة ويدخل النور إلى قلوب الضالين.

خالد: وما هو الفرق؟

الشيخ: إنه كبير جداً. المؤمن يا بني هو الذي يصلح من أمر نفسه ويصمم على مقاومة الضعف والرذيلة والجبن في فؤاده. وهو بعد ذلك مدعو لحمل رسالة الحرية والهداية اللتين فطر الله الناس عليهما. فمن قاتله قاتله ومن شاركه في حمل رسالته آخاه وقدمه.

خالد: لم أفهم عنك بعد يا جدي.

الشيخ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه بعد معركة بدر التي هزموا فيها العدو المشرك لقد عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. قيل: قد عرفنا الجهاد الأصغر يا رسول الله فما هو الجهاد الأكبر؟ قال هو جهاد النفس.

خالد: وما هو جهاد النفس يا جدي؟

الشيخ: إنه أن تعمل على مقاومة شهوات نفسك. أن تنتصر على الاستهتار والفوضى. والأنانية الشخصية. أن تعمل من أجل الاستزادة من العلم والمعرفة. أن تتعلم الانتظام والانضباط. أن تكون مع إخوتك المؤمنين يدا على من سواكم. أن تكونوا جميعا رحماء بينكم أشداء على أعدائكم. أن تنتصروا على الأطماع الصغيرة والتفاهات الحقيرة. أن تكفوا عن تبادل الشكوك والاتهامات بين بعضكم البعض. أن يقتنع العدو بأنه لن يجد ثغرة في صفوفكم أبداً.

خالد: ولكننا كنا صفاً واحداً في المعركة.

الشيخ: الصف الواحد يا بني لا يكون في الجبهة حسب بل هو في السلم والرخاء كما هو في الحرب والشدّة. الحرب الحقيقية يا بني لا تبدأ في الجبهة. بل تبدأ قبل ذلك بكثير. إن الرسول عليه الصلاة و السلام لم يقطف ثمرة النصر في جبهته بدر فقط بل قطفها على امتداد سنين طويلة من الصبر والمعاناة وتربية النفس وتطهير الروح. لقد كسبها بعد خمسة عشر عاماً ونيف من جهاد النفس الذي أوصى به أصحابه في عودته من معركة بدر.

خالد: وماذا بعد يا جدي؟

الشيخ: عد بنا يا بني إلى معركة أحد. إلى الساعات التي فقد فيها بعض المؤمنين روح الانضباط والطاعة فغلبتهم الرغبة المستهترة في الحصول على السلب. فماذا أصاب المسلمين آنذاك؟ لقد كادت تدور عليهم الدائرة حين أتاهم العدو من الثغرة التي فتحوها له في صفوفهم بسبب الاستهتار وضياع الإنضباط.

خالد: زدني يا جدي.

الشيخ: أنت يا بني لا تقاتل عن الأرض وحسب. ولا تنافح عن المال وحسب. بل تقاتل وتنافح دفاعاً عن رسالة إلهية عظيمة كتب الله لك أن تكون حاملها وداعيتها. إنك تقاتل من أجل عالم أفضل وأكرم. من أجل العدل لكل الناس والحرية لكل الناس. والهداية لكل الناس حتى لأعدائك أيضا.

خالد: وهل تعتقد أنّ انتصارنا محتّم بمثل هذه الروح وعلى هذه الخطة؟

الشيخ: بل أعتقد أكثر من ذلك. إن انتصارنا لن يكون إلا بمثل هذه الروح وعلى مثل هذه الخطة وحسب.

خالد: وبم تشير عليّ يا جدي؟ كيف أبدأ العمل؟ ومن أين؟

الشيخ: تبدأ من البداية يا بني. وتستعد في كل ميدان. وعلى كل المستويات. تعد للعدو ما استطعت تصمم على تطهير نفسك من الطمع والشهوات الصغيرة ومن وساوس الذين يدفعونك إلى مقاتلة إخوانك من المسلمين. وإعلان رسالتك الإلهية بصوت مرتفع مؤمنا أنّ النصر من عند الله يؤتيه من يشاء وهو السميع العليم.

خالد: والعدو الذي يملك أضعاف ما نملك من السلاح والعدة؟

الشيخ: العدو يا بني لم يهزمك بما يملك من السلاح. بل هزمك قبل ذلك بزرع الشتات والفرقة في صفوفك. لقد استطاع أن ينال منك في روحك ودينك قبل أن يسلط عليك نيرانه.

خالد: وهل أتغلب على نيران العدو وحديده؟

الشيخ: وما يضيرك أنت يا بني حين تصمم على الموت بعد أن تعد أقصى ما تملك من السلاح والعدة. اترك الباقي لله الذي تعهد بالانتصار لك مشترطا عليك أن تغير ما بنفسك وحسب.

خالد: وهل أحطّم الصهيونية العادية بهذا السلاح؟

الشيخ: بل تواجه الدنيا كلها وتنتصر عليها. المفروض يا بني أن تصبح هذا الإنسان العربي المسلم الجديد. وأن تثق بأنّ للرسالة التي تحملها وتنافح عنها رباً يحميها وإلهاً خالقاً لكلّ شيء قال لك في شأنها: إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون.

خالد: وهل يعود النازحون إلى ديارهم وتنقشع غيوم الخوف والكآبة عن القلوب؟ وتعود النفوس الهلِعة راضية مرضية مطمئنة؟

الشيخ: نعم يا بني وسيتردد كلام الله سبحانه وتعالى في فؤادك وأفئدة إخوانك بعد ذلك تسمعه فتشيع به الطمأنينة في أقطار نفسك ونفوسهم.

صوت" :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (9) إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا11))" (سورة الأحزاب)

خالد: نعم يا جدي. هذا تصوير ساحر لما جرى. لقد تألبت علينا قوى العدوان من كل مكان. ولا أكتمك أنني رأيت أصحاب الأبصار الزائفة والقلوب التي بلغت الحناجر والظنون التي تقطع خيوط الرجاء. وكان الابتلاء شديداً يا جدي حتى كدت أشعر أثناء المعركة أن الناس قد زلزلوا زلزالاً شديداً.

الشيخ: كل هذا صحيح يا بني. على ألاّ تنسى أبداً أن الشعوب تنهزم وتنتصر. وكما أن النصر حصيلة الإيمان والإستقامة والوحدة فإن الهزيمة عظة وعبرة لأولي الألباب.

خالد: ألا ترى يا جدي أننا قد انقطعنا بما فيه الكفاية؟

الشيخ: أسألوا أنفسكم يا بني أنت وزملاءك معك. هل قرّرتم حقاً أن تعودوا إلى الله؟ هل تشعرون اليوم أنه لا عاصم لكم من الأخطاء الخارجية إلا إيمانكم؟ هل ما تزالون تضعون مصيركم في أيدي الغرباء عنكم؟ إذا كنت قد قررتم العودة إلى الله والاعتماد عليه وحسب. وصمّمتم على الإستعداد ليوم المعركة القادمة دون أن تعتمدوا على أحد من الناس سواكم فأنتم المنتصرون حقاً.

خالد: زدني يا جدي.

الشيخ: إذا كان الخوف قد أتاكم يا بني فقد أتى أعداؤكم أيضاً. وإذا كان الألم قد نزل بكم. فقد نزل مثله بعدوكم. والأيام دول يداولها الله بين الناس. وكما تأتي الهزيمة بتفرق الصف فالنصر يأتي بتوحيده.

خالد: هل من وصية أخرى توصيني بها يا جدي؟

الشيخ: نعم يا بني أن تعبد الله كثيراً. وأن تثق بالنصر. وأن تتخلّق بأخلاق المؤمنين الذين تغزو مهابتهم قلوب أعدائهم.

خالد: سأفعل إن شاء الله.

الشيخ: إذن فأنت ورفاقك المفلحون بأمر الله.

صوت: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (3) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (4) (سورة الفتح)